ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

لماذا تعيد أميركا إنتاج «داعش» في أفغانستان؟

شرحبيل الغريب

انفجار قندوز هو الأول الذي يستهدف مسجداً للطائفة الشيعية في أفغانستان، وهو طبعاً ليس حدثاً عابراً، مع ما يحمله من رسائل خطيرة.

شكّلت الانفجارات الأخيرة، والتي وقعت في أفغانستان في إبان الانسحاب الأميركي، وتسلُّم «طالبان» زمام الحكومة فيها، مؤشّراً متزايداً وواضحاً فيما يتعلّق بنشاط خلايا التنظيم الإرهابي «داعش»، المسؤول الأول والأخير عن تفجيرات وقعت ضدّ مدنيين في عدة دول، كسوريا والعراق، و(أخيراً) أفغانستان، وكان بينها تفجير استهدف مسجداً في كابول في الثالث من تشرين الأول/أكتوبر الجاري، أدّى إلى مقتل وإصابة أكثر من عشرين شخصاً. كما وقع الانفجار الأخير، والذي يُعَدّ الأعنف منذ انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان، في مسجد في مدينة قندوز في شمالي شرقي أفغانستان، في أثناء صلاة الجمعة، وراح ضحيته العشرات، وتبنّاه تنظيم «داعش» الإرهابي بصورة رسمية.

انفجار قندوز هو الأول الذي يستهدف مسجداً للطائفة الشيعية في أفغانستان، وهو طبعاً ليس حدثاً عابراً أو هامشياً، مع ما يحمله من رسائل خطيرة، في المشهد الداخلي الأفغاني، فعبر هذه الأحداث تعود أفغانستان إلى الواجهة من جديد، بعد خمسة عقود مرت. ومن خلال هذه التفجيرات المتكرّرة، تدخل قيادة «طالبان» تحدياً عبر تهديدات أمنية داخلية متزايدة ليست بالسهلة، في مواجهة بيئة كامنة بدأت تنشط من جديد لبثّ الفوضى وزعزعة الأمن والاستقرار الداخليَّين، وتضع المشهد الأفغاني، تحت حكم «طالبان»، في حالة اضطراب دائم.

تتزامن وتيرة هذه التفجيرات وتتصاعد بعد الانسحاب الأميركي من أفغانستان، لكنها تنسجم، في التوقيت ذاته، مع تصريحات أميركية أخيرة قالت إن أفغانستان ستشهد تهديدات عنيفة من تنظيمي «داعش» و«القاعدة» خلال العامين المقبلين، وهو ما يضع تساؤلات مهمة تجاه الأطراف التي تغذّي التنظيمات الإرهابية وتدعمها وتعمل على تقويتها، وسط بيئة جديدة تحكمها «طالبان»، ومن الذي يخطّط لتحويل أفغانستان إلى مقرّ لها بعد أن فشلت هذه التنظيمات فشلاً ذريعاً في إقامة نفوذ كبير لها في سوريا والعراق، طوال سنوات مضت.

كثيرة هي التساؤلات. ومسلسل الأحداث في البيئة الداخلية الأفغانية يجعلنا نستحضر محطات بارزة في نشأة التنظيم الإرهابي

«داعش» وتاريخه وأهدافه في كثير من الدول، وفشله في تحقيق أهدافه على مدى سنين مضت. والساحة السورية ربما هي الأقرب إلى ذاكرتنا بشأن استحضار ما خطّط له وسعى إليه «داعش»، ومحاولاته المستمرة في زعزعة دولة عزيزة علينا كسوريا وضربها، لأنها تمثل قلب محور المقاومة، وصولاً إلى العودة مجدّداً إلى سياسة الاستنساخ في أفغانستان.

معروف أن تنظيم «داعش» هو من صنيعة الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها في المنطقة، وهذا ما أكدته اعترافات لشخصيات أميركية سابقة في مذكّرات كُتبت، وهو ما أكّده دونالد ترامب في إبان فترة حكمه، بحيث اتّهم، بصورة مباشِرة، الرئيس الأميركيَّ الأسبق باراك أوباما بتأسيس «داعش»، كما اتهم وزيرة الخارجية الأميركية السابقة هيلاري كلينتون بأنها شريكة في تأسيسه من أجل تحقيق أهداف أميركية عبر أدوات غير مباشِرة.

احتلّت أميركا أفغانستان طوال عقدين من الزمن، استمرّت الحرب خلالهما فيها وسُجِّلت على أنها أطول حرب تخوضها الولايات المتحدة خارج حدودها بصورة مباشِرة، من دون أن تصل إلى النتائج التي سبق أن أعلنتها في البدايات، بل من دون أن تحقّق أهدافها المزعومة. وكما دخلتها، خرجت منها بخُفَّي حُنين، ولم تترك خلفها إلاّ بيئة كامنة للتطرف والإرهاب، وقابلة للنمو. وهي، بالتأكيد، تريد من وراء ذلك إغراق المنطقة في صراعات أمنية معقَّدة لتكون منطقة محتدمة ومتوترة.

انسحبت أميركا من المواجهة المباشِرة في أفغانستان بعد أن أصبحت مُكْلِفة لها، وشكّلت حالة استنزاف مفتوحة وكبيرة. وهي تستخدم الآن سياسات قديمة جديدة، تدعم فيها بيئة المواجهة عبر الأدوات غير المباشرة، من خلال استخدام الجماعات الإرهابية وتوظيفها من أجل ضرب الوضع الأفغاني الداخلي، وإشعال الصراعات والأزمات الداخلية. وهذا كان واضحاً عبر استهداف هو الأعنف لمسجد يتبع الطائفة الشيعية شمالي شرقي أفغانستان.

عودة حكم «طالبان» وسيطرتها على كثير من المناطق تدلّ على أن أفغانستان ستشهد تحولات مستقبلية كبيرة، لكن البيئة الأفغانية تعطي مؤشّراً مفاده أن خطر الإرهاب قائم، وفي تصاعد. وبالتالي، ما يقع على عاتق الحكومة الأفغانية بقيادة «طالبان»، هو ضرورة الاقتناع بأن اتخاذ أيّ قرارات على أساس أن «داعش» «انتهى» يُعْتَبر خطأً استراتيجياً كبيراً، فلقد أصبحت السيناريوهات في البيئة الأفغانية متشعّبة ومتعدّدة، وربما تفتح المجال واسعاً أمام بزوغ تحديات أمنية أخرى، ليست بالسهلة. فـ «ما كل ما يتمنى المرء يدركه»، بل «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن». هكذا قالها الشاعر المتنبي، فلقد تسلّمت «طالبان» الحكم في أفغانستان وسط تغيُّرات دراماتيكية سريعة، لكنها تواجه اليوم مساراً ليس سهلاً في مواجهة تنظيم بدأ ينمو، عبر قيامه بأعمال إرهابية طالت المدنيين، حتى إنها طالت المساجد هناك أيضاً.

التحدّي الأمني ليس الوحيد أمام حكومة «طالبان» الجديدة، والبيئة الأفغانية تقول إن ملفات صعبة تواجه الحكومة التي تديرها «طالبان»، في انتظار المُضِي فيها، ولاسيما إعادة بناء أفغانستان بعد الحرب التي استمرت عقوداً، والحد من حدوث أزمات اقتصادية، ودعم المنظومة الصحية في ظل تفشّي وباء «كورونا» عالمياً.

ثمة أهداف باتت مكشوفة وراء سلوك «داعش» الإرهابي، واستخدامه أداةً عبر سياسة الإشغال والتوظيف من أجل تحقيق أهداف ومصالح وغايات خارجية، علماً بأن كثيراً منها يتزامن مع مجريات مهمة تحدث، أو سوف تحدث. ووقوع التفجير الإرهابي الأخير، والذي يأتي بعد فترة قصيرة من سيطرة «طالبان» على أفغانستان، يؤكد أن لمثل هذا السلوك أجندةً وارتباطاً مخابراتيَّين واضحَي الصِّلَة بجهات أمنية أجنبية. والدليل على ذلك عدم قيام «داعش» بأيّ أعمال إرهابية كبرى قبل الانسحاب الأميركي من أفغانستان.

بات واضحاً أن هذه الأجندات الأجنبية، بواجهة «داعش» الإرهابي، تعمل على تحقيق هدف غير بريء بالمطلق، عنوانه خلط الأوراق وإحداث نزعة مذهبية طائفية غير موجودة، وإغراق أفغانستان في شلال دم غير محمود، تحقيقاً لأهداف أميركية ودولة غربية أخرى ترغب في أن تبقى أفغانستان بيئة غير مستقرة.

صحيح أن سوريا انتصرت على الإرهاب، وحافظت على وحدتها ، وها هي تنهض من جديد لمواجهة كل التحديات الأمنية. لكننا، انطلاقاً من تسليط الضوء على بيئة الإرهاب في دول بعينها، فالنتيجة الواضحة والتي لا يختلف بشأنها اثنان، هي أن إعادة إنتاج تنظيم «داعش» الإرهابي أصبح يشكّل تهديداً لكثير من الدول في المنطقة، وفي الوقت ذاته يشكل تهديداً خاصاً وخطيراً لاستقرار أفغانستان، أمام تصاعد وتيرة التفجيرات، التي تُنذر باحتمال إشعال حرب أهلية طائفية مقصودة تريدها أطراف كأميركا أو أحد حلفائها، وبالتالي لن يكون وقودها إلا الأفغاني بعيداً عن أيديولوجيته الدينية، سواء كان سنياً أو شيعياً. وهذه السياسة تندرج تحت مسار نظريات الإشغال الداخلي، التي تريدها أميركا، بل تُعَدّ أهم وأبرز أهداف انسحابها من أفغانستان.

علينا ألاّ ننسى أيضاً أن ثمة علاقة أساسية أخرى يجب ذكرها، وتُعتبر أحد أهم أسباب انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان، وتعود جذورها إلى الصراع الأميركي الصيني في المنطقة، وعلاقته بإعادة إنتاج الإرهاب في أفغانستان، إذ يشكّل انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان جزءاً لا يتجزّأ من حرب المواجهة بين الدولتين. وتاريخياً، لو عدنا إلى الوراء فسنجد كيف عملت أميركا في صراعها مع روسيا، واستخدمت الأساليب ذاتها. وهي اليوم تكرر السيناريو نفسه مع الصين، وعبر الأدوات ذاتها، أمام ازدياد مؤشّرات الصراع بين أميركا والصين وتفاقمها، وصعود الصين اقتصادياً، وهو السبب الحقيقي وراء توظيف أميركا مجموعات التطرف والإرهاب القائمة في أفغانستان، بل عملت على حمايتها خلال فترة احتلالها طوال عشرين عاماً.

فلسطين دولة تعدّدية ديمقراطية

بشارة مرهج

بشكل منهجي ودوري تقتحم جماعات المستوطنين اليهود المسجد الأقصى المبارك وتنتهك أرضه وحصانته ومقدساته بالتزامن مع حصار دائم يشتدّ يوماً بعد يوم على القدس، وبخاصة على أهالي حي الشيخ جراح وحي سلوان، بهدف إرغامهم على مغادرة منازلهم والتخلي عن أراضيهم التي ورثوها عن الأجداد وعاشوا على خيرها مئات السنين.

وبشكل منهجي ودوري أيضاً تتوالى المواقف العنصرية العدوانية لقادة «إسرائيل»، غير مكترثة بحق أو مبدأ أو قيمة، والتي كان آخرها تصريح نفتالي بينيت، رئيس وزراء حكومة الكيان الغاصب، عندما أكد أنّ «إسرائيل» ستحتفظ بمرتفعات الجولان التي استولت عليها في حرب ١٩٦٧ حتى لو تغيّرت المواقف الدولية تجاه دمشق. مضيفاً: «أنّ مرتفعات الجولان هي إسرائيلية وانتهى الكلام».

يجري كلّ ذلك من دون أن يبادر مسؤول كبير في المجتمع الدولي أو العالم العربي ليدلي برأيه الصريح تجاه هذه الأعمال العدوانية المتكررة التي تندرج في خطة تهويد القدس ومعالمها الدينية والتاريخية والثقافية، وفي طليعتها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومن دون أن يكلف نفسه الدفاع عن حقوق الإنسان التي تنتهك يومياً على أرض فلسطين كما جرى بالأمس مع الشيخ التسعيني الجليل عكرمة صبري خطيب المسجد الأقصى الذي يحوز على احترام ومحبة أهل فلسطين والعرب.

العتب الشعبي هنا لا يتوجه نحو الإدارة الأميركية التي احترفت تمويل الكيان الصهيوني وتسليحه وتشجيع مستوطنيه على انتهاك المقدسات والاستيلاء على أرض شعب له حضوره وحضارته وثقافته في العالم، فالإدارة الأميركية اختارت منذ زمن بعيد أن تكون بخدمة المشروع الصهيوني وتحت أمر أصحابه مهما تغطرسوا وكابروا ومهما كان الثمن، بل أنها أخذت على عاتقها الضغط المتواصل على العواصم العربية وجرها للتطبيع مع الكيان الذي استولى على فلسطين والجولان ومرتفعات شبعا وكفرشوبا، واعتدى على كلّ بلد عربي محيط بفلسطين وكبّده خسائر هائلة بقوة واشنطن والرأسمالية الغربية.

والعتب هنا، أيضاً، ليس وارداً بالنسبة للدول الكبرى المهتمة بمصالحها الذاتية والتي لها ما لها وعليها ما عليها، لكن العتب، وأكثر منه، وارد بالنسبة للأحزاب والمنظمات والأنظمة العربية، المرتبطة بالميثاق القومي، التي تسكت على الجرائم الفظيعة مع أنها تدرك تماماً معنى الأقصى المبارك ومكانته الراسخة في الذاكرة العامة والوجدان الجمعي للعرب في كلّ مكان.

فأي معنى لإيماننا وعروبتنا إذا رأينا الأقصى تجتاحه، كل هنيهة، جماعات عنصرية حاقدة على كل ما هو فلسطيني وعربي من دون أن نحرك ساكناً ولو بالكلمة وهذا أضعف الإيمان؟!

بل وأي معنى يبقى لإيماننا وعروبتنا إذا نحن تخلينا عن فلسطين وقدسها وشعبها المناضل الذي يُقهر ويُشرّد بالنيابة عن الأمة العربية بواسطة قوة عالمية وإقليمية تريد الشر للعرب وتريد نهب خيراتهم ومواردهم تحت عنوان الحداثة ومحاكاة العصر؟!

لن أستطرد في هذا الموضوع المتداخل مع ثنايا حياتنا وماضينا ومستقبلنا، نعم لن أستطرد في هذا الموضوع الخطير الذي يستأهل الصفحات والكتب والعرائض بعدما كنا نعتبره بديهياً واضحاً يتحدث عن نفسه بلا عناء أو افتعال. ولكن الزمن إذ يتغيّر بطغيان مراكز الرأسمالية الدولية والليبرالية المتوحشة مع مفاهيمها وقيمها التي تحتقر الإنسان الآخر وحقوقه، لا بدّ من التلخيص بعبارة واحدة: إنّ السكوت على الجرائم المتمادية بحق القدس لا يستوي مع عاداتنا وتاريخنا فضلاً عن أنه يشجع المعتدي على المضيّ في غيّه، لا بل في هذا الطريق الوعر الذي يسقط القيم والعهود من هذا العالم ويستولد الفتن والحروب.

فإذا اختار بعض العرب أن يطبّع مع كيان لا يعرف سوى التسلط والتمدّد، فإنّ البعض الآخر لا يريد ولا يستطيع أن ينحو هذا المنحى الذي يهدّد المصالح والهوية والمصير. هذا «البعض» ليس ضعيفاً أو متردّداً، بل يملك الإيمان والعزم للردّ على نفتالي بينيت ومواقفه الاستعمارية العنصرية، ويملك الرؤية والإرادة لاسترداد الحق المغتصب وزرع الراية العربية على ربى فلسطين. هذا «البعض» لن يسكت عن ذلك مهما كان الثمن ومهما طال الزمن. ومن كان مهتماً بمستقبل السلام ومهتماً بأمن أهل المنطقة، بغضّ النظر عن الهوية والدين، فلينصح الكيان الغاصب وقياداته، أو بالأحرى فليشارك في الضغط عليه للقبول بمنطق التاريخ وتحوّلاته ومآلاته التي تنذر بقيام دولة فلسطينية عربية محرّرة على أرض فلسطين لا مكان فيها للعنصرية، أو العداء، أو المستوطنين، دولة يعيش فيها الجميع على أساس المساواة والمشاركة والديمقراطية.

النفوذ التركي في آسيا الوسطى والقوقاز يصطدم بإيران وروسيا

هدى رزق

ترى تركيا الّتي تستخدم علاقاتها مع أذربيجان في صراعها مع إيران أنَّ طهران وموسكو تقفان سداً منيعاً في وجه مشاريعها في سوريا وآسيا الوسطى.

سعت تركيا للعمل على ميزتها الجغرافية ومحاولة التوسّع لتثبت أنها قوة إقليمية، من سوريا وليبيا وشرق المتوسط والبحر الأسود والقوقاز وآسيا الوسطى، ولتثبت لواشنطن أنها جديرة بأن تكون إلى جوارها، وهذا أحد أهدافها الرئيسية، فهل ستبقي إدارة بايدن أبواب المفاوضات مغلقة أمام تركيا، حليفتها في الناتو، وسط صعود الصين وروسيا؟

لطالما رأى السياسيون الأتراك، وخصوصاً الرئيس السابق تورغوت أوزال، أنَّ على تركيا توسيع نفوذها وأن تعمل على تعزيز أهميتها الاستراتيجية للغرب، واعتبر أنَّ وسط آسيا هو ميدانها الأساسي. أقامت تركيا علاقات مع الدول التي استقلَّت عن الاتحاد السوفياتي بعد الحرب الباردة في آسيا الوسطى، إلا أنها وجدت صعوبة في توسيع نفوذها في تلك المنطقة، وذلك لعدة أسباب، أهمها أن الحكام في آسيا الوسطى لم يتحمّسوا «للنموذج التركي»، باستثناء أذربيجان، فمعظم النخب في آسيا الوسطى تستخدم اللغة الروسية متأثرةً بالهويّة الروسية ثقافياً كلغة مشتركة للتواصل مع جيرانها، ما قلَّص قدرة تركيا على تحقيق تقدم سياسي.

العلاقات الأذربيجانية - التركية

ترى تركيا أن التعاون العسكريّ مع أذربيجان وسيلة لتعزيز علاقاتها مع مصدر مهم للطاقة في بحر قزوين. وقعت باكو وأنقرة «اتفاقية الشراكة الاستراتيجية والمساعدة المتبادلة» في العام ٢٠١٠. وفي العام ٢٠١١، وقعت اتفاقيات مهمة حول نقل الغاز الأذربيجاني إلى السوق الأوروبية عبر الأراضي التركية، كما تم تعزيز التعاون العسكري.

وقد زادت وتيرة المناورات العسكرية المشتركة بين تركيا وأذربيجان ونطاقها على حد سواء في باكو والقطاع المستقل لناخيتشيفان. كانت هذه المناورات مرتبطة بمناوراتٍ بحرية قامت بها إيران في بحر قزوين. يتحرك الرئيس التركي إردوغان ضمن هذه الدائرة، إذ رأى في العام ٢٠٢٠ فرصة لتغيير الوضع في كاراباخ. أدركت أنقرة أنّ الصراع يوفّر لها فرصة لإلقاء ثقلها الدبلوماسي والعسكري والتكنولوجي وتوسيع دورها في المنطقة، ولو تحدَّت دول مينسك: فرنسا والولايات المتحدة وروسيا بالتحديد.

العلاقات الصعبة بين إيران وأذربيجان

كانت طهران قد ركّزت اهتماماتها في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز على تقديم المساعدة التقنية والمالية وتوسيع العلاقات الثقافية، فجميع دول المنطقة ناطقة بالتركية، وروابطها الثقافيّة والتاريخيّة مع تركيا أقوى من علاقاتها مع إيران، التي تربطها علاقات مميّزة مع أرمينيا وطاجيكستان، لكنَّها دعمت باكو أثناء تحرير كاراباخ علناً، وعرضت التوسط، كجزء من جهودها الدبلوماسية في الصراع الذي يشكّل تهديداً لاستقرارها الداخلي، فهي تخشى من بث وتشجيع النزعة الانفصالية في أوساط الأقلية الآذرية التي تبلغ نسبتها نحو ٢٥٪ من عموم السكان، وتعي خطر زيادة التدخل التركي عند حدودها وأداء تركيا دوراً هوياتياً.

كان يهمّها أن تمسك موسكو بزمام الأمور، وأن يشير الاتفاق الثلاثي إلى قوات حفظ السلام الروسية فقط، وليس القوات التركية، كما اقترحت باكو في أحد بنود اتفاقية الهدنة، والذي يسمح لأذربيجان بإنشاء ممر عبور عبر جنوب أرمينيا، ما قد يضرّ بالمصالح الاقتصادية لإيران، فالروابط البرية بين أذربيجان ومقاطعتها ناخيتشيفان كانت تمر عبر الأراضي الإيرانية. أما الممر الجديد الذي أُنشئ، فقد قلّل من نفوذ إيران على أذربيجان، وكسبت تركيا من هذا الممر، ما قد يؤدي إلى إنشاء طريق مباشر إلى آسيا الوسطى.

بعد السيطرة على جزء كبير من كاراباخ، بدأت باكو بإظهار عدم ارتياحها تجاه الشاحنات الإيرانية. إيقاف الشاحنات الإيرانية عن طريق أذربيجان وجدته إيران غير مقبول، ورأت أنه يهدد الأمن التجاري لطهران عبر غرب آسيا. في آب/أغسطس ٢٠٢١، بدأ الجنود الأذربيجانيون بإساءة معاملة سائقي الشاحنات الإيرانيين على طول طريق جوريس كابان السريع الذي يربط إيران بأرمينيا عبر منطقة ناغورنو كاراباخ التي تديرها أذربيجان حديثاً. مرة أخرى، تجنبت طهران القضية بسرعة، وقبلت تفسيرات أذربيجان حول مضايقة سائقي شاحناتها.

الخطر الأهم بالنسبة إلى إيران هو تدعيم العلاقات الدفاعية والاستخباراتية بين أذربيجان و «إسرائيل»، ما يشكل مصدراً آخر للتوترات، ويعطي زخماً أكبر جراء إبرام صفقة أسلحة بلغ ثمنها ٦,١ مليار دولار بين أذربيجان و «إسرائيل» في فبراير/شباط ٢٠١٢. اتّهمت إيران أذربيجان بأنها ستصبح حصان طروادة الذي ستستخدمه «إسرائيل» لتنفيذ هجمات إرهابية ضدها، حيث بدأ الصراع الإيراني الإسرائيلي بالتحول إلى القوقاز.

كما تختلف إيران وأذربيجان أيضاً حول تقاسم موارد طاقة بحر قزوين الضخمة، والتي تقدر قيمتها بما يقارب ٣ تريليون دولار، وتنازع الدول الخمس المطلّة على بحر قزوين - وهي روسيا وإيران وأذربيجان وكازاخستان وتركمانستان - بشكل مستمر منذ سنوات حول ترسيم قاع بحر قزوين.

هل من تحالفات جديدة بين تركيا وباكستان وأذربيجان تقلق طهران؟

تقع باكستان عند الحدود الشرقية لإيران، بينما تقع تركيا وأذربيجان عند حدودها الشمالية الغربية والشمالية على التوالي. عندما أجرت تركيا وأذربيجان وباكستان تدريبات عسكرية مشتركة، شكّكت الخارجية الإيرانية في شرعية هذه التدريبات، مؤكّدة أنَّ الوجود العسكري للدول غير المطلة على البحر غير قانوني، وفقاً للاتفاقيات القانونية لبحر قزوين.

وقد اعتبرت التحالف موجهاً ضدها وضد الهند وروسيا، والتي تعد من بين أكبر منافسي هذا التحالف في أفغانستان وآسيا الوسطى والشرق الأوسط. نشرت إيران قوات على طول الحدود مع أذربيجان، رداً على التدريبات التركية الأذربيجانية الباكستانية المشتركة الأخيرة، كطلقة تحذير للجارة من أنَّ الأمور لا تسير على ما يرام بينهما، وعلَّلت إيران أنَّ التدريبات تهدف إلى ضمان «سيادة» طهران.

وقال المتحدّث باسم وزارة الخارجية الإيرانية إنَّ «إيران لن تتسامح مع وجود الكيان الصهيوني قرب حدودنا». هدف هذا التصريح هو اعتبار نيات هذه الدول حيال إيران عدوانية، وخصوصاً أن لها علاقات مع «إسرائيل» التي تتربّص بها. أما «الصهيونية»، فهي لا تقتصر على الإسرائيلي، إنما على من يضمر نيات عدوانية، وهي تتهم ضمناً أذربيجان بالتنسيق مع الاستخبارات الإسرائيلية.

ترى تركيا الّتي تستخدم علاقاتها مع أذربيجان في صراعها مع إيران أنَّ طهران وموسكو تقفان سداً منيعاً في وجه مشاريعها في سوريا وآسيا الوسطى، وأن إيران تقف وراء المطالبة العراقية بانسحابها من الشمال ومن بعشيقة والقواعد التي أنشأتها هناك.

المشروع التركي الشامل لأنقرة هو أن تصبح القوة المهيمنة في آسيا الوسطى. ونظراً إلى أن سياستها الخارجية تسترشد بسياسات الهوية، وضعت تركيا أيضاً قدراً كبيراً من الثقة والتعاون مع باكستان، لكونها دولة مسلمي جنوب آسيا، ولديها تأثير في أفغانستان ومشكلات مع الهند، ولا سيَّما أنّ المفكّرين الباكستانيين انخرطوا مؤخراً في مراجعة تاريخية، زاعمين أنَّ الباكستانيين اليوم هم من نسل أمراء الحرب والمغول الأتراك الّذين غزوا شمال الهند خلال الألفية الماضية.

هل يجب أن تنسى تركيا الّتي ترى نفسها مركزاً مهيمناً لمجال نفوذ يمتدّ من إسطنبول إلى غرب الصين، أن روسيا هي القوة الرائدة في المنطقة، وصاحبة النفوذ الأوسع نطاقاً في آسيا الوسطى والقوقاز من تركيا أو إيران، والعائق الحقيقي للتوسع التركي؟ فموسكو تتمتع بعدد من المزايا المهمة في التنافس على النفوذ، ومنها القرب الجغرافي وأنماط التجارة التي أنشأتها ومسارات الطاقة والروابط الثقافية الوثيقة.